

الوافي في الوفيات

عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر بن نجدة الجذامي المصري المولى القاضي محيي الدين ابن القاضي رشيد الدين الكاتب الناظم النائر شيخ أهل الترسل ومن سلك الطريق الفاضلية في إنشائه . وهو والد القاضي فتح الدين محمد صاحب ديوان الإنشاء . سمع من جعفر الهمداني وعبد الله ابن إسماعيل بن رمضان ويوسف بن المخيلي وجماعةٍ وكتب عنه . البرزالي وابن سيد الناس وأثير الدين والجماعة . وكان بارع الكتابة في قلم الرقاع ظريفاً ذا عريية حلوة وكان ذا مروءة وعصية . ولد في المحرم سنة عشرين وتوفي بالقاهرة سنة اثنتين وتسعين وستمائة . ومن إنشائه كتابٌ كتبه إلى الأمير شمس الدين آقسنقر جواباً عن كتاب كتبه بفتح بلاد النوبة : " وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرةٍ " . أدام الله نعمته المجلس ولا زالت عزائمه مرهوبةً وغنائمه مجلوبة ومحبوبة وسطاه وخطاه هذه تكفي النوب وهذه تكفي النوبة . ولا برحت وطأته على الكفار مشددة وآماله لإهلاك الأعداء كرماحه ممتدة . ولا عدت الدولة بيض سيوفه التي يرى بها " الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة " . صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس تثنى على عزائمه التي واثت على كل أمرٍ رشيد وأتت على كل جبارٍ عنيد وحكمت بعدل السيف في كل عبد سوء " وما ربك بظلامٍ للعبيد " حيث شكرت الضمر الجرد وحمدت العيس واشتبه يوم النصر بأمره بقيام حروف العلة مقام بعض غزو كنيسة سوس كغزو سيس . ونفهمه أنا علينا أن الله بفضله طهر البلاد من رجسها وأزاح العناد وحسم مادة معظمها الكافر وقد كاد وكاد وعجل عيد النصر بالأضحية بكل كبش حربٍ يبرك في سواد وينظر في سواد ويمشي في سواد . وتحققنا النصر الذي شفى النفوس وأزال البوس ومحا آية الليل بخير الشمس وخرب دنقلة بجريمة سوس وكيف لا يخرب شيء يكون فيه سوس ؟ ! .

فالحمد لله عن أن صبحتم عزائم المجلس بالويل وعلى أن أولج النهار من السيف منهم في الليل وعلى أن رد حرب حرابهم إلى نحورهم وجعل تدميرهم في تدبيرهم وبين خيط السيف الأبيض من الخيط الأسود من فجر فجورهم وأطلع على مغيبات النصر ذهن المجلس الحاضر وأورث سليمان الزمان المؤمن ملك داود الكافر وقرن النصر بعزم المجلس الأنهض وأهلك العدو الأسود بميمون طائر النصر الأبيض وكيف لا وآقسنقر هو الطائر الأبيض ! .

وقرأ لأهل الصعيد كل عين وجمع شملهم فلا يرون من عدوهم بعدها غراب بين ونصر ذوي السيوف على ذوي الحراب وسهل صيد ملكهم على يد المجلس وكيف يعسر على السنقر صيد الغراب . والشكر لله على إذلال ملكهم الذي لان وهان وأذاله ببأسه الذي صرح به شر كلِّ منهم في قتلة

فأمسى وهو عريان وإزهاقهم بالأسنة التي غدا طعتهم كغم غدا والزق ملآن ودق أقيتهم بالسيف الذي أنطقه بألفهم أعجم الطير فقال دق قفا السودان . ورعى جهاد المجلس الذي قوم هذا الحادث المناد ولا عدم الإسلام في هذا الخطب سيفه الذي قام خطيباً وكيف لا وقد ألبسه منهم السواد وشكر له عزمه الذي استبشر به وجه الزمن بعد القطوب وتحققت بلاد الشمال به صلاح بلاد الجنوب وأصبحت به سهام الغنائم في كل جهة تسهم ومتون الفتوحات تمطى فتارةً يمتطي السيف كل سيس وتارةً كل أدهم . وحمد شجاعته التي ما وقف لصدمتها السواد الأعظم .

والمنة على أن جعل ربع العدو بعزائم المجلس حصيداً " كأن لم تغن بالأمس " وأقام فروض الجهاد بسيفه المسنونة وأنامله الخمس قون ثباته بتوصيل الطعن لنحور الأعداء ووقت النحر قيد رمح من طلوع الشمس وخرج من كرم إدراك داود المطلوب ورد على السيف بعيب هربه والعبء السوء إذا هرب يرد بعيب الهروب . ويشكر تفضيل مكاتبه المجلس وجملها وآخر غزواته وأولها ونزال مرهفاته ونزلها ويجعله إذا انسلخ نهار سيفه من ليل هذا العدو يعود سالماً لمستقره " والشمس تجري لمستقر لها " . قلت : وفي هذه الغزاة قال ناصر الدين حسن ابن النقيب : من الكامل .

يا يوم دنقلةٍ وقتل عبيدها ... من كل ناحيةٍ وكل مكان .
كم فيك نوبي* يقول لأمه ... نوحى فقد دقوا قفا السودان